رِسَالَةُ بُولُسَ الرَّسُولِ إِلَى أَهْلِ رُومِيَةَ

«أبينا إبراهيم» (٤: ٩-١٧)

تأليف: دفيد روبر

إبراهيم شخصية رئيسية في كلا العهدين القديم والجديد. ورد اسمه في العهد الجديد أكثر مما ورد اسم بولس أو بطرس[١]. يشار إليه في كلا العهدين بانه «خليل الله» (إشعياء ٤١: ٨؛ يعقوب ٢: ٢٣). قال هوقو مكورد: «سر به الله سروراً عظيماً لأنه سر بالله سروراً عظيماً»[٢].

مثال بولس الرئيسي في الأصحاح ٤ من الرسالة إلى أهل رومية عن التبرير بالإيمان هو إبراهيم. سيركز هذا الدرس على ما ورد في رومية ٤: ٩-١٧. الفكرة الرئيسية في هذا النص هي أبوة إبراهيم. قيل عنه في الآية ١٢ انه «أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ». وفي الآية ١٦ تحدث بولس عنه «إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا»؛ واسماه في الآية ١١ بانه «أَبًا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ».

قبل ما نخوض في نص درسنا هذا لنتذكر الأحداث الرئيسية في حياة إبراهيم وبحسب ترتيب حدوثها. عندما كان إبراهيم في حوالي الستين من عمره تقريباً، دعاه الله ليخرج من أور الكلدانيين (تكوين ١١: ٣١؛ ١٥: ٧). ارتحل أباه تارح مع آخرون من الأسرة إلى حاران (راجع الخريطة على صفحة ٤٤). بعد موت تارح (تكوين ١١: ٣٢) عندما بلغ إبراهيم الخامس والسبعين من عمره (١٢: ٤) ظهر له الله وقال:

اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ،
وَمِنْ عَشِيرَتِكَ،
وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ،
إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ {كنعان}؛
فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً،
وَأُبَارِكَكَ،
وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ،
وَتَكُونَ بَرَكَةً.
وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ،
وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ.
وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ»
(تكوين ١٢: ١-٣).

قطع الله مع إبراهيم الوعد بالميراث، والوعد بالشعب، والوعد بالحماية. ولكن الوعد الذي يثير انتباهنا أكثر هو وعد الهدف: «وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» (راجع غلاطية ٣: ٨).

انتقل إبراهيم إلى كنعان، ولكن بعد مرور عقد من الزمان أو ما حواليه، ظل هو وسارة {زوجته} بلا أولاد. أكد الله لإبراهيم بان أحفاده سيكونون كتراب الأرض (تكوين ١٣: ١٦) وكنجوم السماء (تكوين ١٥: ٥). عندئذ قيل: «فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرًّا» (تكوين ١٥: ٦).

مرت أربع عشرة سنة بعد ذلك. عندما بلغ إبراهيم التاسع والتسعين من عمره، ظهر له الله مرة أخرى وقال:

أَمَّا أَنَا فَهُوَذَا عَهْدِي مَعَكَ،
وَتَكُونُ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ.

---

[١] مقتبس من جيم تاونسند، في تفسيره بعنوان «Romans: Let Justice Roll»، صفحة ٣١.

[٢] هوقو مكورد في محاضرة عن رومية ٤: ١٣-٢٥، قدمها للطلبة بكلية أوكلاهوما (التي تسمى الآن بجامعة أوكلاهوما).

فَلاَ يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ {أب مجيد}،
بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِبْرَاهِيمَ {أب لجمهور}،
لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لَجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ.
وَأُثْمِرُكَ كَثِيرًا جِدًّا، وَأَجْعَلُكَ أُمَمًا،
وَمُلُوكٌ مِنْكَ يَخْرُجُونَ (تكوين ١٧: ٤-٦).

في ذلك الزمان أسس الله شعائر الختان (تكوين ١٧: ٩-١٤، ٢٣-٢٧). قال الله أن هذا سيكون «عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» (آية ١١).

سنقول الكثير عن حياة إبراهيم في درسنا القادم، ولكننا سنذكر هنا حدث واحد أخير. في الأصحاح ٢٢ وبعد ما نجح إبراهيم في أصعب امتحان لإيمانه[٣]، جدد الله عهده معه قائلاً: «وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِي» (تكوين ٢٢: ١٨).

عند فحصنا لهذا النص[٤] أرجو أن نتذكر هذه الأحداث بحسب الترتيب الزمني . استمر بولس يتحدث عن «ترتيب حساب الله العجيب»، يجري تباين بين نظام الناموس/الأعمال وبين نظام النعمة/الإيمان. ولكن سيتركز دراستنا على «أبينا إبراهيم». نريد أن يعرف لماذا هو «أَبٌ لِجَمِيعِنَا».

هو «أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ»
لأنه تبرر قبل أن يُختتن (٤: ٩-١٢)

كانت هناك حقيقتين عزيزتين على جميع اليهود، وهما: انهم أُختتنوا، ولديهم ناموس موسى. جعلتهما هاتين الصفتين يهود وشعب خاص لله. كانوا يعتمدون على الختان والناموس لتبريرهم[٥]. تحدث بولس في الأصحاح الثاني من الرسالة إلى أهل رومية أولاً عن الناموس (الآيات ١٧-٢٤) ومن ثم تحدث عن الختان (الآيات ٢٥-٢٩). تحدث في رومية ٤: ٩-١٢ عن تلك الحقيقتين مرة أخرى - بترتيب عكسي.

«في الختان»

كَمَا يَقُولُ دَاوُدُ أَيْضًا فِي تَطْوِيبِ الإِنْسَانِ الَّذِي يَحْسِبُ لَهُ اللهُ بِرًّا بِدُونِ أَعْمَال:

«طُوبَى لِلَّذِينَ غُفِرَتْ آثَامُهُمْ،
وَسُتِرَتْ خَطَايَاهُمْ.
طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لاَ يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيَّةً»
(رومية ٤: ٦-٨).

تشير كلمة «تطويب» في النص اعلاه إلى غفران الخطايا. طرح بولس بعد ذلك السؤال: «فَهذَا التَّطْوِيبُ هُوَ عَلَى الْخِتَانِ فَقَطْ أَمْ عَلَى الْغُرْلَةِ أَيْضًا؟» (الآية ٩). أي بعبارة أخرى هل اليهود وحدهم هم الذين تُغفر لهم الخطايا أم الأمم أيضاً تُغفر لهم الخطايا؟ لكان الكثير من اليهود يجيبون «مثل هذا التطويب لليهود فقط!». ولكن بولس سيوضح أن تدبيرات نعمة الله هي للجميع.

ذكر بولس لقُرَّاءه أولاً النص الذي يثبت كلامه هذا (تكوين ١٥: ٦): «... لأَنَّنَا نَقُولُ: إِنَّهُ حُسِبَ لإِبْرَاهِيمَ الإِيمَانُ بِرًّا» (رومية ٤: ٩). ثم سأل قائلاً: «فَكَيْفَ {تَحت أَيّ ظروف} حُسِبَ {لوغيزوماي λογίζομαι}؟ أَوَهُوَ فِي الْخِتَانِ أَمْ فِي الْغُرْلَةِ؟ ...» (الآية ١٠). ربما لم يكن معظم اليهود قد فكروا بهذا السؤال.

أجاب بولس على السؤال الذي طرحه هو نفسه: «... لَيْسَ فِي الْخِتَانِ، بَلْ فِي الْغُرْلَةِ!» (الآية ١٠). ورد الحديث عن تبرير إبراهيم بالإيمان في الأصحاح ١٥ من سفر التكوين، بينما ورد تأسيس شعيرة الختان في الأصحاح ١٧ من سفر التكوين (بعد أربع عشرة سنة على الأقل[٦]). كان اليهود الذكور يؤمنون بمفهوم ما أن الختان جعلهم «يهود»؛ كانوا يقولون عن اليهود انهم

---

[٣] يشير هذا إلى توصية الله لإبراهيم بان يقدم ابنه الوحيد اسحق ذبيحة له.

[٤] هناك عدة تشابهات بين الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية وبين الأصحاح الثالث من الرسالة إلى أهل غلاطية. قد تحتاج أن تقرأ الأصحاح الثالث من الرسالة إلى أهل غلاطية قبل الاستمرار في الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية.

[٥] بما يختص بموقفهم تجاه الختان، راجع التعليقات التي قدمها بعض اليهود المسيحيين في كتاب أعمال الرسل ١٥: ١.

[٦] لم يرد ذكر الاحداث في الكتاب المقدس وفقاً للترتيب الزمني دائماً. ولكن ورد ذكر سن إبراهم في تلك المراحل من الأحدث (راجع تكوين ١٢:٤؛ ١٦: ٣ و٦؛ ١٧: ١).

«الختان» وعن الأمم بانهم «الغرلة»، أي عدم الختان. وهكذا بحسب ما يقولون أن إبراهيم تبرر بالإيمان قبل أن يكون «يهودياً» (بينما كان «أممياً»)!

وهذا يثير تساؤل آخر، وهو: إذن لماذا أوصى الله إبراهيم والذكور الآخرين في أسرته بان يختتنوا؟ ما هو الهدف من تلك الشعائر إن لم تكن للخلاص؟ استمر بولس قائلاً: «وَأَخَذَ {إبراهيم} عَلاَمَةَ {سميون σημεῖον} الْخِتَانِ خَتْمًا {سفراقيس σφραγίς} لِبِرِّ الإِيمَانِ الَّذِي كَانَ فِي الْغُرْلَةِ ...» (رومية ٤: ١١). عندما أسس هذه العشيرة قال لإبراهيم: «فَتُخْتَنُونَ فِي لَحْمِ غُرْلَتِكُمْ، فَيَكُونُ عَلاَمَةَ عَهْدٍ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» (تكوين ١٧: ١١). لم يعطى الختان لليهود لكي يخلصهم، بل كـ «علامة» و «ختم»: «علامة لتمييزهم» و«ختم لتوثيقهم»[٧].

تضيف الكثير من تفاسير الطوائف عند هذه النقطة عبارة مثل التالية: «وهكذا الحال أيضاً مع المعمودية. ليست لها علاقة بخلاصنا، بل هي مجرد علامة وختم الخلاص الذي سبق فحصلنا عليه». يقولون هذا بجراءة بغض النظر عن حقيقة اننا لا نملك أي ما يشير إلى أن بولس كان يقصد مثل هذا التطبيق. اعترف أحد مفسري الطوائف قائلاً: «انه من المستبعد أن يكون هناك شيء عن المعمودية في الأصحاح الرابع من الرسالة إلى أهل رومية ...»[٨]. أشار بولس إلى عطية الروح القدس (الذي ننناله عندما نعتمد؛ أعمال ٢: ٣٨) بانه «ختم» (راجع أفسس ١: ١٣ و١٤). سنتحدث عن الهدف من المعمودية عندما نصل الأصحاح السادس.

«أَبًا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ»

استخلص بولس أن أبراهيم تبرر بالإيمان قبل اختتانه «... لِيَكُونَ أَبًا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَهُمْ فِي الْغُرْلَةِ ...» (٤: ١١). ذكر بولس سابقاً أن إبراهيم كان سلف (بروباتور προπάτωρ) اليهود بحسب الجسد (الآية ١)؛ وها هو يقول الآن ان إبراهيم كان أيضاً «أباً» (پاتر πατήρ) للأمم الذين يؤمنون بيسوع. إذا كان الأمم يؤمنون سـ«يُحْسَبَ {لوغيزوماي λογίζομαι} لَهُمْ أَيْضًا الْبِرُّ (علاقة قويمة مع الله)» (الآية ١١). كما حسب لإبراهيم أيضاً. «حساب الله العجيب» متاح للجميع!

أهذا يستثنى اليهود؟ كلا. ظل إبراهيم «أَبًا لِلْخِتَانِ {أي اليهود}» (الآية ١٢). ولكن كان على اليهود أن يدركوا أن إبراهيم هو «وَأَبًا ... لِلَّذِينَ لَيْسُوا مِنَ الْخِتَانِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا يَسْلُكُونَ فِي خُطُوَاتِ إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ ...» (الآية ١٢). كان يسوع قد قال لمنتقديه: «لَوْ كُنْتُمْ أَوْلاَدَ إِبْرَاهِيمَ {حقاً}، لَكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ أَعْمَالَ إِبْرَاهِيمَ!» (يوحنا ٨: ٣٩). كانوا يحتاجون بصفة خاصة إلى إيمان مثل الذي كان لإبراهيم «{وهو} فِي الْغُرْلَةِ» (رومية ٤: ١٢).

أول دليل قدمه بولس ليثبت أن إبراهيم هو «أَبًا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ» (آية ١١) هو انه بمفهوم ما تبرر بإيمان قبل سنين من أن يصبح يهودياً. إذنً التبرير «بالإيمان وليس بالجسد»[٩]. بما أن هذا كان مذهلاً لليهود، إلا أن الله قد يقبل المؤمن الأغلف ولا يقبل غير المؤمن المختتن!

إذا أردتَ أن يقبلك الله، عليك أنت أيضاً أن تسلك «فِي خُطُوَاتِ إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ». عليك أن تتوكل على يسوع وتعمل مشيئته.

هو «أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ» لأنه تبرر قبل اعطاء الناموس (٤: ١٣-١٧)

انتقل بولس بعد ذلك إلى الشيء الثاني الذي يميز اليهود عن الآخرين، وهو: ناموس موسى. قال أف أف بروس أن بولس كان يقول أن: «إن لم تكن للختان علاقة بتبرير الله لإبراهيم، ... فلم تكن للناموس إيضاً

---

[٧] جون أر دبليو سكوت في تفسيره بعنوان «The Message of Romans: God's Good News for the World» من سلسلة «The Bible Speaks Today»، صفحة ١٢٩.

[٨] دوغلاس جي موو في تفسيره بعنوان «Romans» من مجلد «The NIV Application Commentary»، صفحة ١٥٤.

[٩] جاء هذا من ريشارد باتي في تفسيره بعنوان «The Letter of Paul to the Romans» من مجلد «The Living Word Commentary »، صفحة ٦٠.

علاقة بإيمانه»[١٠].

«الوعد»

أشار بولس أولاً إلى «الوعد لإِبْرَاهِيمَ أَوْ لِنَسْلِهِ أَنْ يَكُونَ وَارِثًا لِلْعَالَمِ ...» (٤: ١٣). الكلمة المترجمة هنا إلى «وعد» («إپانَجليا ἐπαγγελία») هنا هي كلمة رئيسية في النص الوارد في رومية ٤: ١٣-٢١. وردت الصيغة الاسمية منها أربع مرة (في الآيات ١٣، ١٤، ١٦، ٢٠)، بينما توجد الصيغة الفعلية منها مرة واحدة فقط (آية ٢١). يشير كل هذا إلى «الوعد» بان إبراهيم ونسله «سيرثون العالم». سنتحدث عن هذا الوعد في ما تبقى من هذا الدرس.

ليس هناك وعد محدد لإبراهيم في سفر التكوين بانه ســ«يرث العالم»[١١]، لهذا قد تكون هذه طريقة بولس للتوكيد على الوعود الكثيرة التي قطعها الله مع إبراهيم. ربما كان بولس يفكر أكثر بأحد هذه الوعود: «وَيَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ ...» (تكوين ٢٢: ١٨؛ راجع ١٢: ٣). قال بولس في مكان آخر بان هذا الوعد له علاقة بمجيء المسيح: «وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ. لاَ يَقُولُ: وَفِي الأَنْسَالِ، كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: وَفِي نَسْلِكَ، الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ» (غلاطية ٣: ١٦).

بالمسيح أصبح نسل إبراهيم الروحي وارثين للعالم (قارن متى ٥: ٥). عندما كتب بولس إلى الكنيسة التي كانت في كورنثوس، قال: «... فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَكُمْ: ... الْعَالَمُ، أَمِ الْحَيَاةُ، أَمِ الْمَوْتُ، أَمِ الأَشْيَاءُ الْحَاضِرَةُ، أَمِ الْمُسْتَقْبَلَةُ. كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ» (١ كورنثوس ٣: ٢١ و٢٢). لنا «كل شيء» بمفهوم أن كل شيء لله ونحن أبناءه. يعتني الله بأبناءه ويوفر لهم كل ما يحتاجون إليه.

«... لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. ... لكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ» (متى ٦: ٢٥-٣٣).

«لَيْسَ بِالنَّامُوسِ»

«فَإِنَّهُ لَيْسَ بِالنَّامُوسِ كَانَ الْوَعْدُ لإِبْرَاهِيمَ أَوْ لِنَسْلِهِ أَنْ يَكُونَ وَارِثًا لِلْعَالَمِ، بَلْ بِبِرِّ الإِيمَانِ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الَّذِينَ مِنَ النَّامُوسِ هُمْ وَرَثَةٌ، فَقَدْ تَعَطَّلَ الإِيمَانُ وَبَطَلَ الْوَعْدُ: لأَنَّ النَّامُوسَ يُنْشِئُ غَضَبًا، إِذْ حَيْثُ لَيْسَ نَامُوسٌ لَيْسَ أَيْضًا تَعَدٍّ. لِهذَا هُوَ مِنَ الإِيمَانِ، كَيْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ النِّعْمَةِ» (رومية ٤: ١٣-١٦).

قطع الله الوعد مع إبراهيم ونسله، ولكن لم يكن ذلك لأنه أعطيَ ناموس موسى[١٢]. قال بولس أن ذلك «ليس بالناموس» (٤: ١٣): لا يمكن أن يكون ذلك بالناموس لأن موسى لم يكن قد أتى بالناموس إلا بعد «أَرْبَعمِئَةٍ وَثَلاَثِينَ سَنَةً» من ذلك الزمان (غلاطية ٣: ١٧). بل قال بولس أن الوعد كان «بِبِرِّ الإِيمَانِ» (رومية ٤: ١٣).

بما أنه أعطيَ ناموس موسى بعد قرون من ذلك الزمان، هذا دليل على أن الناموس لم تكن له علاقة بالوعد. لم يكتفي بولس بهذه الفكرة {التي قدمها}، بل استخدم هذه الفرصة للاستمرار في اعطاء التباين بين نظام الناموس/الأعمال من جهة ونظام النعمة/الإيمان من جهة أخرى. يبين سياق الآيتين ١٣ و١٤ أن بولس كان يقصد ناموس موسى بصفة أساسية، ولكن يمكن اعطاء تطبيق عام {لتشمل جميع أنواع النواميس والشرائع والدساتير والقوانين}. إذا كان تتميم الوعد يعتمد على حفظ الناموس، لا يأتي تتميم ذلك الوعد إلى الأبد لأنه لا يستطيع أحد (ليس ولا إبراهيم نفسه) حفظ الناموس بصورة كاملة. الخلاصة التي توصل إليها بولس هي أن تتميم الوعد اعتمد على نظام النعمة/الإيمان: كان ذلك «بِبِرِّ الإِيمَانِ» (الآية ١٣).

«لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الَّذِينَ مِنَ النَّامُوسِ هُمْ وَرَثَةً، فَقَدْ تَعَطَّلَ الإِيمَانُ وَبَطَلَ الْوَعْدُ» (الآية ١٤). عندما استخدم

---

[١٠] أف أف بروس في تفسيره بعنوان «The Letter of Paul to the Romans» من سلسلة «The Tyndale New Testament Commentaries»، صفحة ١٠٨.

[١١] الوعد الوحيد بالأرض (الممتلكات) الذي قطعه الله مع إبراهيم هو انه هو ونسله سيرثون أرض كنعان. لم يعد يحتاج هذا الوعد إلى التتميم إذ انه قد تمم في زمان العهد القديم. كانت مملكة إسرائيل قد اتسعت ذات مرة من البحر الأبيض المتوسط وحتى نهر الفرات. (راجع تكوين ١٥: ١٨؛ ٢ صموئيل ٨: ٣؛ ١ ملوك ٨: ٦٥).

[١٢] يشدد معلمو اليهود على أن إبراهيم كان قد حصل على الناموس قبل قرون من اعطائه لموسى. ولكن بولس نفد هذا الادعاء.

بولس العبارة «الَّذِينَ مِنَ النَّامُوسِ» كان يقصد بها اليهود بصفة أساسية (راجع الآية ١٦). ولكن بما أن كلمة «ناموس» الواردة في الآية ١٤ هي صيغة شاملة في النص الأصلي، فقد يشمل هذا على كل من يعتمد على أي نظام قانوني {أو تشريعي}/الأعمال. لو كان نيل الوعد يعتمد على نظام ناموس ما/الأعمال لكانت هناك نتيجتين.

أولاً، لكان الإيمان قد «تَعَطَّلَ». الكلمة المترجمة هنا إلى «تعطل» («كنوس κενός») تعني بصفة أساسية «فارغ» {أي بلا معنى أو محتوى}. نظام ناموس/أعمال ونظام نعمة/إيمان هما نظامين متعارضين. إذا كان هناك أساس لنظام الناموس/الأعمال، يتعطل نظام النعمة/الإيمان (وهذا يعني اننا هالكين إذ انه لا يستطيع أحد حفظ الناموس حفظاً كاملاً).

تكون النتيجة الثانية هي أن الوعد نفسه قد «يبطل». تُرجمت كلمة «بَطُلَ» هنا من الكلمة اليونانية «كاتارقيو καταργέω»، وهي كلمة مركبة معناها «التقليل إلى حد اللا فعالية» («كاتا κατά» {أسفل/تقليل} و«أرقوس ἀργός» {لا فعالية}). لم يُعطى الوعد لإبراهيم لأنه حفظ شرائع الله حفظاً كاملاً، بل لأن كان له إيمان (قارن هذا مع غلاطية ٣: ١٨). قال بولس انه لو كان نيل الوعد يعتمد على حفظ الناموس «أنساه» (كما نقول) لأن تتميمه لن يأتي أبداً.

لماذا يكون الحال هكذا؟ لأنه بدلاً من أن يواصل الناموس باعطاء بركات الله، قال بولس أن «النَّامُوسَ يُنْشِئُ غَضَبًا {أورج ὀργη} (رومية ٤: ١٥). واجه بولس اليهود مباشرة في الآية ١٥ الذين يعتبرون ناموس موسى «استثناء للقاعدة العامة» بما يختص بأنظمة الناموس/الأعمال.

عندما قال بولس أن «النَّامُوسَ يُنْشِئُ غَضَبًا»، لم يعني بذلك انه ليست هناك قيمة في ناموس موسى (راجع ٧: ١٢)؛ على كل حال، الله هو الذي أعطى الناموس. بل كان يعني انه ما دام ليس هناك من يحفظ الناموس حفظاً كاملاً، كل ما يفعله الناموس في نهاية المطاف هو إنشاء الغضب. سنناقش هذا أكثر في صلة بالأصحاح السابع. وأما الآن، لنذكر أن «النَّامُوسَ يُنْشِئُ غَضَبًا» بالطرق التالية:

- انه يعرف بالخطيئة (ما هي الخطيئة) (٣: ٢٠).
- انه يشجع الخطيئة بمفهوم ما (تأمل في رد فعل بعض الأطفال عندما يقال لهم ألا يفعلوا شيء ما) (راجع ٥: ٢٠؛ ٧: ٥).
- انه يدين الخطيئة (راجع تثنية ٢٨: ٥٨ و٥٩).

المشكلة في أي ناموس هي انه «قد يحدد المشكلة ولكنه لا يقدم أي علاج {أو دواء}»[١٣].

بعد ما قال بولس أن «النَّامُوسَ يُنْشِئُ غَضَبًا»، أضاف عبارة مذهلة للقُرَّاء: «إِذْ حَيْثُ لَيْسَ نَامُوسٌ لَيْسَ أَيْضًا تَعَدٍّ» (٤: ١٥). كلمة «تَعَدٍّ» هنا مترجمة من الكلمة اليونانية «پاراباسيس παράβασις»، وتدل عادة على انتهاك مباشر للناموس.

ربما قد نفهم كلام بولس هذا إذا وسعنا فكرته. كلمة «ناموس» في هذه الآية هي نكرة في كلا اللغتين اليونانية والعربية، مما يدل على أن بولس كان يشير إلى مبدأ يتعلق بأي ناموس {قانون} بصفة عامة.

- «حَيْثُ لَيْسَ نَامُوسٌ لَيْسَ أَيْضًا تَعَدٍّ». نستخلص من هذا أنه حيث يوجد ناموس يوجد أيضاً تَعَدٍّ.
- يوجد لجميع الناس ناموس، مكتوب كان أم غير مكتوب – ولكن لم يحفظ أحد قط الناموس الذي لديه حفظاً كاملاً. يكون الجميع في آخر المطاف منتهكي ناموس.
- إذا كان الحال هكذا، يجلب الناموس «غضباً» للجميع.

استخلص بولس في الآية ١٦: «لِهذَا {لأن الناموس ينشيء غضباً وليس بركةً} هُوَ {أَي نيل الوعد} مِنَ الإِيمَانِ ...». إذا كان نظام ناموس/أعمال ينشيء غضب فقَط، إذاً لا يمكن تتميم الوعد إلا بنظام نعمة/إيمان.

قال بولس: «لِهذَا هُوَ مِنَ الإِيمَانِ، كَيْ يَكُونَ عَلَى

[١٣] جي دي توماس في تفسيره بعنوان «Romans» من سلسلة «The Living Word» صفحة ٣٤.

سَبِيلِ النِّعْمَةِ {خاريس}» (الآية ١٦). كان الوعد عطية لإبراهيم، ليس على أساس ما عمله، بل على أساس إيمانه. كان على اليهود أن يفهموا انهم «يخلصون بالإيمان، وليس الجنس» (راجع لوقا ٣: ٧-٩). علينا نحن أيضاً أن نفهم أننا نخلص «بالإيمان، لكي يكون على سبيل نعمة»!

أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ

> ... لِيَكُونَ الْوَعْدُ وَطِيدًا لِجَمِيعِ النَّسْلِ. لَيْسَ لِمَنْ هُوَ مِنَ النَّامُوسِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا لِمَنْ هُوَ مِنْ إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «إِنِّي قَدْ جَعَلْتُكَ أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ». أَمَامَ اللهِ الَّذِي آمَنَ بِهِ ... (الآيتين ١٦ و١٧).

جاء تتميم الوعد بالإيمان والنعمة «لِيَكُونَ الْوَعْدُ وَطِيدًا لِجَمِيعِ النَّسْلِ» (رومية ٤: ١٦). نظام الناموس/ الأعمال يبطلَ الوعد (الآية ١٤)، ولكن نظام النعمة/ إيمان يوطده {أي يضمنه}. كلمة «نسل» هنا مترجمة من الكلمة اليونانية «سبيرما σπέρμα» وتعني عادة «بزرة». تشير هذه الكلمة عادة إلى نسل واحد أو أكثر بحسب الجسد، ولكنها تشير هنا إلى نسل روحي.

ليس الضمان هنا «لِمَنْ هُوَ مِنَ النَّامُوسِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا لِمَنْ هُوَ مِنْ إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا» (الآية ١٦)[١٤]. ليس الضمان لليهود الذين يؤمنون بيسوع فحسب، بل أيضاً للأمم الذين «أَيْضًا يَسْلُكُونَ فِي خُطُوَاتِ إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ» (الآية ١٢). لهذا أصبح إبراهيم «أَبٌ لِجَمِيعِنَا»، أي جميع الذين يؤمنون يهودياً كانوا أم أممياً.

قال بولس أن هذا تم التنبوء به في أحد الوعود التي قطعها الله مع إبراهيم: «كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: إِنِّي قَدْ جَعَلْتُكَ أَبًا لأُمَمٍ كَثِيرَةٍ» (الآية ١٧). يشير هذا إلى الوقت الذي ظهر فيه اللَّه لإبراهيم عندما كان في التاسع والتسعين من عمره وجدد وعده له. قال الله لإبراهيم في ذلك الزمان: «... لأَنِّي أَجْعَلُكَ أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ» (تكوين ١٧: ٥).

كان إبراهيم «أَبًا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ» بحسب الجسد. كان هو أباً للأمة الإسرائيلية بابنهَ إسحق وحفيده يعقوب. كان له ابن آخر وهو إسماعيل «الذي يُعتبر جد العرب». صار له أبناء آخرين أيضاً من زوجة أخرى اسمها قطورة (تكوين ٢٥: ١-٤)؛ وكان أحد هؤلاء سلف المديانيون. والأدوميون هم نسل عيسو حفيد إبراهيم (راجع تكوين ٢٥: ٣٠).

ولكن بولس إذ كان منقاداً بالروح قال أنه كان هناك تنبوء روحي كان جزء مما وردِ في تكوين ١٧: ٥: كان يجب أن يكون إبراهيم أيضاً «أَبًا {روحياً} لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ». تهلل مكورد بانه هكذا سمح له الله ولكثيرين بالدَخول مع انهم ليسوا من إبراهيم بحسب الجسد!

الخلاصة

هناك ترنيمة إنجليزية خاصة بالأطفال تقول:

كان لأبانا إبراهيم أبناء كثيرين،
أبناء كثيرين كانوا لأبينا إبراهيم؛
وأنا منهم
وأنت كذلك،
فلنحمد الرب جميعاً.

يتمتع الصغار بهذه الترنيمة دون أن يدركوا ما أعجب الحقيقة التي بها!

يضع بولس التوكيد في الدروس الأربعة التالية على أنه ليست للختان علاقة بكوننا أبناء إبراهيم – لأن إبراهيم تبرر بالإيمان قبل أربع عشرة سنة على الأقل من تأسيس عادة الختان. وليس لناموس موسى علاقة به لأن إبراهيم تبرر بالإيمان قبل قرون من إعطاء الناموس. كلا، إبراهيم هو أباً روحياً لنا عندما يكون لنا إيمان كإيمانه. عبر بولس عن هذا في مكان آخر كما يلي:

> لأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ: لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.

---

[١٤] كلمة «ناموس» هنا معرفة بـ«ال»، مما يدل على أن بولس كان يتحدث بصفة خاصة عن اليهود. يحاول البعض جعل الآية ١٦ تعلم بان هناك طريقتين للخلاص: واحدة لليهود والأخرى للأمم. أني لا أعرف كيف يقرأ الشخص هذا الأصحاح كله ويصل إلى هذه الخلاصة؟ كان بولس يقصد هنا اليهود الذين توكلوا على يسوع.

فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذًا نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ (غلاطية ٣: ٢٦-٢٩).

سنفحص عن كثب في درسنا القادم الإيمان الذي كان لإبراهيم. أطرح في ختام هذا الدرس السؤال التالي: «هل إبراهيم أبوك؟» أي هل لك نوع الإيمان الذي كان لإبراهيم؟ هل تثق بالله حقاً؟ هل تثق حقاً بانه سيعمل ما وعد به؟ هل أنت مستعد لأن تضع الإيمان موضع عمل كما فعل إبراهيم؟ إن لم تكن قد عبرت عن إيمانك بيسوع بطاعة وصاياه (راجع لوقا ٦: ٤٦؛ متى ٧: ٢١؛ مرقس ١٦: ١٦)، أناشدك أن تفعل ذلك حالاً.

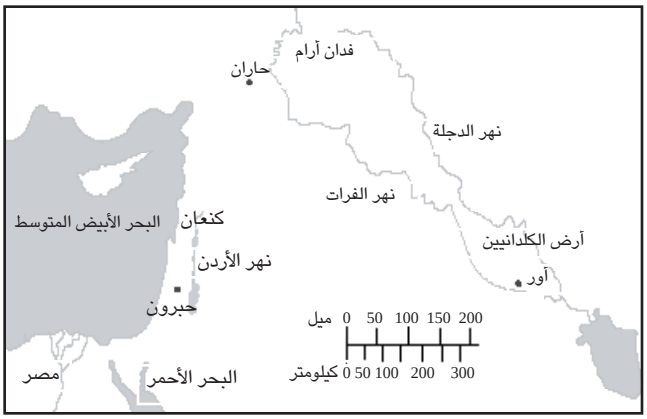

الأرض التي ارتحل فيها إبراهيم

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٩